

الخطيئة مسألة وجودية لا قانونية

الأرشمندريت كيرلس كوستوبولوس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"هنا يكمن جوهر الخطيئة: في عدم ثقتنا بالله الخالق ومحبتنا المطلقة له؛ وفي ارتباطنا التام بالأنا." في المجتمع اليوم، بشكل خاص، تم تشويه فكرة الخطيئة عمداً. هذا لأننا نتناول المعنى السطحي للكلمة (بمعنى الفشل، أو عدم إصابة العلامة) ونفقد المعنى الأكثر عمقاً.

بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية ولاهوتها، الخطيئة ليست حدثاً قانونياً. ليس مجرد تجاوز، بل هي عصيان لإرادة الله الأبدية. هذا هو السبب في أنها مسألة وجودية. عملياً، إنها إنكارنا لمن نحن أساساً: أي صورة الله. وهذا ما يقوله القديس مكاريوس المصري في الموضوع: "لأننا فقدنا هذه الصورة لما نقضت الروح الوصية" (PG, 34 548A).

عندما نقض الجدان الأولان الوصية في الفردوس، فقدنا الحياة في الله بثلاث طرق: أ) قطعنا الشركة مع الله خالقنا؛ ب) فقدنا فرصة الخلود من خلال موتنا الجسدي (ج) حرماننا أنفسنا من الشروط الضرورية لتحقيق "شبه الله" وبالتالي لاكتساب الحياة الأبدية.

كمخالفين، وقفنا وراء فرديتنا البيولوجية والنفسية. لقد توقفنا عن أن نكون أناساً يتوقعون الشركة مع الله الخالق ومع الآخرين، وبدلاً من ذلك ابتعدنا عن "إرادة" الله. إن الناس الذين يرتكبون الخطايا يتمردون ضد إرادة الله ويطيعون إرادتهم الهائجة. يُظهر هذا العصيان أن الثقة بالله قد اهتزت، ونتيجة لذلك ينحسر احتمال وجود علاقة شخصية معه. وهنا بالتحديد يكمن جوهر الخطيئة: عدم ثقتنا بالله الخالق وعدم محبتنا المطلقة له، وارتباطنا الكامل بالأنا. هذه النزعة الأنانية هي التي تقودنا إلى العصيان وبالتالي إلى الخطيئة.

لسوء الحظ، يعتقد العصاة أنهم يقودون المعركة إلى الفساد والموت. إنهم مرتبطون بشكل ميؤوس منه بالحفاظ على ذواتهم، واكتفائهم الذاتي ومكانتهم الاجتماعية. ومع ذلك، فإن ما يختبرونه بالفعل في النهاية هو انهيار نفسي جسدي، في عالم وحدتهم الأنانية.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن الشر العظيم في الخطيئة ليس أنها تبعدنا عن محبة الله، ولكنه تثقل كاهل الذين يسقطون في مشاعر الخزي والإذلال، وتحرمهم من أي جرأة قد تكون لديهم أمام الله، وتجردهم من كل النعم (PG 53, 133).

يقارن القديس باسيليوس منازل أصحاب الأعمال الميتة بالقبر، لأن الذين ارتكبوها ماتوا روحياً: "بيوت هؤلاء هي قبور إلى الأبد" (PG 39, 448 B-C).

السبب الأصلي للخطيئة ليس عاطفة أو مجرد رغبة، بل هو التمرد على إرادة الله. يأتي هذا إما من جهل الله الخالق أو من أناس يغلغون على أنفسهم في فضائهم الخاص المتمحور حول ذواتهم. إن الخطيئة، كعصيان لإرادة الله الخالق وشقاق معه، تجلب الناس الساقطين إلى اغتراب ثانٍ: عن الآخرين. آدم يلوم حواء، وبهذا لم يعد يعتبرها "عظم من عظامي ولحم من لحمي" (تكوين ٢: ٢٣). في النهاية، الخطيئة تبعدنا عن الله وعن الآخرين. حتى قبل أن يدلي سارتر بهذه الملاحظة، كان دوستويفسكي قد أشار بالفعل إلى أن الجحيم هو "المعاناة من العجز عن المحبة". [الإخوة كارامازوف].

ما نحتاجه في الأوقات غير المستقرة التي نعيش فيها هو التوبة الحقيقية التي ستقودنا إلى الطاعة المطلقة لإرادة الله. يكمن حل المأساة التي يعيشها الناس اليوم في إبتعادهم عن الخطيئة من خلال التوبة الحقيقية.

Source: Archimandrite Kyrillos Kostopoulos. Sin: an existential, not a legal issue. Pemptousia. 16 February 2022. <https://pemptousia.com/2022/02/sin-an-existential-not-a-legal-issue/>